على اغصان الاشجار التي غرستها وليت وجهي ينتعش تحت اشجار الجميز التي لي"

وكثيرًا ما يكون في القبور كتابات تاريخية ذات قيمة عظيمة لا يذكر ما فيها من الحقائق في مكان آخر

ويكون في القبر تماثيل صغيرة تسمى" اوشبتي" وهي من الحجر او الخزف او الزجاج غير الشفاف ملونة بالوان شكلها كشكل الجسد المحنط ويراد بها ان تعمل للميت كل ما يريدهُ من الاعمال الزراعية وعليها كتابات من الفصل السادس من كتاب الاموات. ويكون فيهِ ايضًا درج من البردي فيهِ فصول من كتاب الاموات مكتوبة بالقلم الهيروغليفي او الهيراتي . وفي هذا الكتاب تراتيل للآلهة وفقرات يقرأها فتتسهل طريقهُ في العالم السفلي ويتغلب على كل ما يقاومهُ فيهِ

الشَّعر والشيب

شابَ رأسي وما رأيتُ مشيبَ الـرأس الاَّ من قبل شَيبِ الفؤادِ
وكذاكَ القلوبُ في كلِّ بُؤسٍ ونعيمٍ طلائعُ الاجسادِ
طالَ انكاريَ البياضَ وان عمَّرتُ شيئًا انكرتُ لونَ السوادِ
نالَ رأسي من ثغرةِ الهمِّ داءٌ لم ينلهُ من ثغرةِ الميلادِ
زارني شخصهُ بطلعةِ ضيمٍ عمَّرت مجلسي من العوَّادِ

الشعر نابت في جسد الانسان كلهِ ما عدا راحة اليد واخمص القدم وهذا الشعر لا يغزر ولا يطول الاَّ في الرأس واللحية والشاربين والابطين والصدر والعانة وهو في ما سوى ذلك قليل قصير ولكنهُ في الرجال اطول واغزر منهُ في النساء

وكل شعرة من شعر الانسان مؤلفة من جذر وساق فالجذر هو الجزء البصلي الشكل اللين القوام الذي ينزع مع الشعرة اذا قلعت قلعًا. ويكون الجلد محيطًا به احاطة كانهُ انبوب او جراب. وفي هذا الانبوب او الجراب تتكوَّن الشعرة وتنمو وتزيد مادةً فتزيد طولاً

والجلد كما لا يخفى مؤلف من طبقتين وهما البشرة الظاهرة والأَدَمَة التي تحتها . ويمكن حسبان الشعر والاظافر فروعًا منهُ وكذا المخالب والبراثن والحوافر والريش والفلوس فانها كلها فروع من الجلد او ملحقات بهِ وباطن الشعرة مؤلف من مادة البشرة

وظاهرها من مادة الادمة . ثم ان الشعر القصير لا يغور جرابهُ تحت الجلد واما الشعر الطويل فيغور جرابهُ تحت الجلد ويصل الى النسيج الدهني . وطرف الجذر الغائر في الجلد ضخم كالبصلة وتحتهُ حلمة كثيرة الدم والاعصاب وهي التي تغذي الشعرة وتمكنها في الجلد لانها داخلة فيها دخول الرأس في القبعة

وظاهر الشعرة محاط بفلوس بعضها منضدٌ فوق بعض واطرافها السائبة متجهة نحو راسها فاذا امسكتها بين انملة السبابة وظفر الابهام وسحبتها من اصلها الى رأسها وجدتها ملساء واما اذا سحبتها من رأسها الى جذرها وجدتها خشنة ذات اسنان . وترى هذه الاسنان واضحةً بالميكرسكوب وهي اكثر في الصوف منها في الشعر ولذلك يسهل نسج الصوف لانهُ يشتبك بعضهُ ببعض باسنان هذه الفلوس

وتحت الفلوس مادة ليفية مؤلفة من الياف منبسطة لاصق بعضها ببعض بمادة غرويَّة . والمادة الملونة للشعر منتشرة في المادة الغرويَّة التي بين هذه الالياف ومنبثة في الحويصلات التي تتألف الالياف منها . ولكن لون الشعر لا يتوقف على هذه المادة الملونة وحدها بل يتوقف ايضاً على الاخلية الهوائية التي في المادة الليفية . فالشعر الشائب كثير الاخلية الهوائية والشعر الاسود يكاد يكون خالياً منها

ويختلف شعر الانسان في بنائهِ عن شعر بقية انواع الحيوان ولا يماثلهُ الاَّ شعر الشمبانزي والغورلاَّ ونحوهما من انواع القرود حتى يتعذر التمييز بين شعرهِ وشعرها

ويتصل باجربة الشعر غدد زيتية تفرز مادة يلين بها الشعر ويبقى صقيلاً لامعاً . ويتصل بها ايضاً عضلات صغيرة تقطع الزاوية المنفرجة المكونة من الجلد وجراب الشعرة . وهذه العضلات غير خاضعة للارادة ولكن البرد والخوف والرعب تؤثر فيها فتنقبض وللحال يقشعرُّ البدن ويزبئرُّ الشعر اي يقف منتصباً

وجراب الشعرة هو المعمل الذي تتكوَّن فيهِ وتأتيهِ المواد اللازمة لبنائها من الدم الوارد في الاوعية الدمويَّة التي في الحلمة المشار اليها آنفاً فيطول الشعر من جذرهِ وكلما زيد فيهِ شيء هناك طال ودفع ما فوقهُ . ويختلف مقدار طوله في السنة باختلاف موقعهِ من الجسد وباختلاف الاشخاص والسن والفصل والساعة . وقد وُجد ان شعر رأس النساء يطول ١٨ سنتيمتراً في السنة بعد ان يسقط كلهُ اثر الحمى وان شعر اللحية يطول ١٦ سنتيمتراً في السنة

وطول شعر النساء في الغالب بين ٥٥ و ٧٠ سنتيمتراً ولكنهُ قد يطول عن ذلك

كثيرًا بل قد بلغ في بعض الاحوال النادرة مترًا وثمانين سنتيمترًا او مترًا وتسعين سنتيمترًا . وذكر بعضهم انهُ رأى شيخًا من شيوخ قبائل الهنود الاميركيين طول شعر

رأسهِ ثلاثة امتار وربع متر ويكاد يبلغ هذا الطول في بعض دراويش الهند كما ترى في هذه الصورة

وللشعرة حياة محدودة تحياها ثم تموت وتقع من نفسها . فالشعر الذي يولد بهِ الجنين (ويسمى عقيقةً) يقع كلهُ قبلما يحول عليهِ الحول . وكلما ماتت شعرة وانفصلت عن الحلمة المتصلة بها نبتت تحتها شعرة اخرى ودفعتها امامها حتى تخرج من الجلد وذلك يشبه وقوع اسنان اللبن بظهور الاسنان الدائمة تحتها . وقد علم بالمراقبة ان شعر الاجفان يعمر ١١٠ ايام وشعر الرأس من سنتين الى اربع سنوات ولا يسقط كلهُ دفعةً واحدة بل تدريجًا وكلما سقطت شعرة ظهرت اخرى في مكانها . وما دامت الشعرة حية فالطول الذي تبلغهُ محدود بحسب مقدار الغذاء الذي تتناولهُ من الاوعية الدموية التي في حلمتها واما اذا قُصَّت او حُلقت عادت الى النمو ثانيةً . واذا زاد الشعر الساقط على الشعر الذي ينمو مكانهُ قلَّ الشعر رويدًا رويدًا وحدث الصلع

واذا تقدَّم الانسان في السن اخذ شعرهُ يشيب رويدًا رويدًا . والشيب امرٌ طبيعي وفسيولوجي يأتي في حينهِ ويسير سيرًا طبيعيًا ولكنَّ الهمَّ والقلق يسرعانهِ كثيرًا او كما قال ابو تمام في الابيات التي صدرنا بها هذه المقالة ان شيب الرأس من فضل شيب الفؤاد . وقد تكون سرعة الشيب وراثية اي ان الذين يشيبون باكرًا يشيب اولادهم باكرًا ايضًا ولذلك لا يتخذ الشيب دليلاً على السن دائمًا

والغالب ان يبتدئ الشيب في شعيرات قليلات فيشيب اصل الشعرة ويبقى رأسها اسود او يشيب رأسها ويبقى اصلها اسود . وقد راقب العلَّامة برون سيكار الفسيولوجي الفرنسوي شيب لحيتهِ فوجد ان بعض شعرها يشيب كلهُ في ليلة واحدة

وللشيب سببان مباشران الاول عدم استطاعة حلمة الشعرة على تكوين المادة الملونة . والثاني كثرة تولد الاخلية الهوائية في الشعرة نفسها . وقد يحدث ذلك كلهُ في برهة وجيزة جدًّا فقد قال الثقات ان شعر الملكة ماري انقلب شاب كلهُ في ليلة واحدة من الهمِّ والغم و شعر الملكة ماري ستورت شاب كلهُ في برهة وجيزة تمَّا خامر فؤادها من الغم والكدر . وحلم رجل ان اباهُ قُتل ورآهُ مقتولاً فلما نهض في الصباح وجد ان شعرهُ كلهُ قد شاب تلك الليلة . وقال رجل للدكتور مورو ان شعرهُ شاب كلهُ في ليلة واحدة وعمرهُ ثلاثون سنة وذلك لما اعتراهُ من الحزن والغم على موت زوجتهِ . وقد اوردنا فصلاً وجيزًا في المجلد التاسع من المقتطف قلنا فيهِ ما نصهُ

لهج شعراء العرب والعجم بذكر الشيب الذي يفاجئ الشبان والكهول واطبقوا على انهُ يحدث من الخوف والهم والغم وعليهِ قول بعضهم

رمى الحدثان نسوة آل حربٍ بمقدارٍ سمدن له سمودا
فردَّ شعورهنَّ السود بيضاً وردَّ وجوههنَّ البيضَ سودا

وقول الآخر والهمُّ يخترم الجسيم نحافةً ويشيب ناصية الصبيّ ويهرمُ

وذكر الكتّاب اناساً كثيرين باغتهم الشيب في ليلة واحدة فاشرق على مفارقهم نور الصباح بعد ان كانت مشتملة بغسق الدجى من ذلك ان شاباً اسبانيًّا عشق جارية من جواري فرديننذ ملك اسبانيا فرآهُ الحرس يسامرها تحت جنح الدجى فعلم انهُ مقود الى القتل لا محالة ولم يصبح عليهِ الصباح حتى شاب من الروع فرق لمتهِ فصار مثل الدمقس اسودها. ورآهُ الملك على هذه الحال فقال لهُ لقد نلت جزاء ما جنت يداك وامر باطلاقه

ومنهُ ان حارس كنيسة بمدريد كان عليهِ ان يقف على جناح قبتها وينشر منهُ لواء يوم دخول الامبراطور ليوبولد تلك المدينة فالتفت الى نفر من الشبان قائلاً من منكم يرثي لضعفي وينشر اللواء بدلاً مني فازوجهُ بابنتي فتقدَّم واحد منهم وكان اكرههم اليهِ وقال لهُ لبيك يا عمّاه ثم عمد الى قبة الكنيسة ونشر اللواء وكان الوقت مساء. ولما مرَّ الامبراطور بموكبهِ طوى اللواء وحاول النزول فوجد الباب الاعلى مقفلاً. وكانت الكنيسة بعيدة عن البيوت لا يمرُّ بها الناس ليلاً فأسقط في يدهِ وعلم انها مهلكة من ابى الفتاة. فقال إن انا رميت نفسي الى الارض هلكت لا محالة وان بقيت هنا الى الصباح لا دفء ولا دثار متُّ برداً ولكن قد تمهلني الحياة ففضل البقاء ولبث في القبة ولم يصبح الصباح حتى اعياهُ البرد والخوف وشيَّبا رأسهُ. اما الفتاة فبقيت على عهد المحبة خلافاً لقول من قال

اذا شاب رأس المرء او قلَّ مالهُ فليس لهُ في حبهنَّ نصيبُ

ولعلها علَّلت نفسها بانهُ شاب في حبها فلم ترَ الشيب عاراً

وجاء ان شاباً مذهوراً بجودة الصوت كان يمثل الاله جوبتير في احد الملاهي هابطاً من السماء محاطاً بالغيوم والبروق والرعود فاختلَّت الآلات وانفصمت حبالها فسقط من علو شاهق هو ورجل آخر فمات هذا قبل ان يبلغ الارض واما ذاك فعلق ثوبهُ ببعض الاسلاك المعدنية وبلغ الارض سليماً ولكنهُ لم يبلغها حتى شاب كل رأسهِ.

وحدث ذلك امام ملك نابولي والملكة زوجته وجمهور غفير من عيون المدينة

وروى بعضهم ان جندياً من جنود بنكالا الذين جاهروا بالعصيان على الدولة الانكليزيَّة قبض عليهِ واتي بهِ امام الحكام وفيما هم يستنطقونهُ نظر اليهِ واحد

فوجد ان شعرهُ وكان اسود حالكًا قد وخطهُ الشيب ثم شملهُ كلهُ في نصف ساعة

ونحن نعرف رجلاً من اهل الفضل والوجاهة استولى عليه الرعب والغم وهو كهل فشاب رأسهُ في ليلة واحدة . ونعرف رجلاً آخر قال انهُ غرقت به السفينة فنجا على خشبة منها ولم يبلغ البر حتى شاب رأسهُ

ومنذ مدة كانت احدى العذارى تنتظر خطيبها وهو قادم من سفر فورد اليها الخبر بغرق السفينة التي كان فيها ووجدانهِ بين الغرقى فاغمي عليها في الحال ولبثت كذلك خمس ساعات وكان شعرها اسود مشوبًا بالصهبة فاصبح ابيض كالثلج . ولم يلبث طويلاً حتى سقط كلهُ ونبت مكانهُ شعر شائب مثلهُ اما حاجباها واهدابها فبقيت سوداء كما كانت

ومن نوادر الشيب الفجائي حدوثهُ في جانب واحد من الرأس . فقد روى بعضهم ان رجلاً ارلنديًّا من الذين خرجوا على الحكومة الانكليزيَّة اتى قائدًا انكليزيًّا يستأمن اليهِ فقبض عليه الجنود قبل ان رأى القائد وتهددوهُ بالقتل نشاب جانب من راسهِ وبقي الجانب الآخر على حاله . وروى آخر ان فتاة كانت مخطوبة فقرأت في احدى الصحف ان خطيبها تزوج أُخرى غيرها فساءها الامر ولبثت تتأمل في نكثه عهود المحبة ليلها كلهُ ولما اصبحت التفتت الى المرآة فوجدت نصف شعرها ابيض كالثلج والنصف الآخر اشقر على حالهِ

واختلف العلماء في صحة الشيب الفجائي وفي تعليله فانكرهُ بعضهم وفي جملتهم السير ايراسموس ولسُن المشهور بامراض الجلد . ثم رأى الفتاة التي غرق خطيبها والظاهر انهُ كان يعرفها قبل ان شابت فآمن بصحة الشيب الفجائي ولكن اشكل عليهِ تعليلهُ فنسبهُ الى فعل كهربائي او كيماوي يغيّر كيفية الدم بغتة فترسب منهُ املاح الكلس في الشعر وتبيضهُ ولكنهُ لم يقطع بصحة هذا التعليل ولا رجحهُ . وذهب فوكولين الكيماوي الى انهُ يفرز من الدم سائل حامض في مثل هذه الحال فيدخل الشعر ويزيل لونهُ بفعله الكيماوي . والقولان ضعيفان كما لا يخفى

ويعتمد علماء الانسان على الشعر للتمييز بين صنوف شعر هنود اميركا واهالي الصين ويابان وغيرهم من سكان جبال اسيا طويل سبط قاسٍ كشعر الخيل . وشعر الزنوج والهوتنتوت والبابوان مفلفل صوفيٌّ وشعر الاوربيين ومن شابههم من اهالي اسيا وافريقية لين جعد او رجل اي بين الجعد والسبط . وسبب التجعد في شعر الزنوج ان جراب الشعر منحنٍ فتخرج الشعرة منهُ منحنية كاللولب . واذا قُطع الشعر ونُظر الى قطعهِ بآلة تكبرهُ ظهر ان

قطع الشعر الطويل السبط كشعر الاميركيين الاصليين مستديروقطع شعر الاوربيين بيضي وقطع شعر الزنوج مفرطح كالسيور ولكن ذلك غير مطردوقد ارتاب فيه بعض العلماء

وحقن احد الاطباء مريضاً بموريات البلوكربين تحت الجلد فاستحال شعرهُ من الاشقر الذهبي الى الاسود الفاحم واستحال لون عينيهِ من الازرق الى الاسود . ونبش ميت بعد دفنهِ بعشرين سنة فاذا شعرهُ احمر وكان اولاً اسود . ومات رجل آخر فشاب شعرهُ كلهُ بعد موتهِ بثلاثين ساعة

وفائدة الشعر وقاية الجسد من الهواء البارد ولذلك يطول شعر الحيوانات وصوفها في الشتاء ولاسيما ما كان منها في الاقاليم الباردة ولهذا السبب يطلق سكان الاقاليم الباردة لحاهم وشواربهم فتقيهم برد الهواء

ويقال ان الشعر المنتشر على سطح الجسد هو بقية الشعر الطويل الذي كان يغطي جسد الانسان كلهُ كما يغطي اجسام الحيوانات وان بعض قبائل الناس لم تزل اجسادهم مغطاة بشعر طويل الى يومنا هذا

الحشيش وفعلهُ

الحشيش اسم يطلق على اوراق القنّب الهندي وقد ذكرهُ ابن البيطار في مفرداته فقال " ومن القنب نوع ثالث يقال لهُ القنب الهندي ولم ارهُ بغير مصر ويزرع في البساتين ويسمى بالحشيشة عندهم وهو يسكر جدًّا اذا تناول منهُ انسان يسيرًا قدر درهم او درهمين حتى ان من اكثر منهُ يخرجهُ الى حد الرعونة وقد استعملهُ قوم فاختلت عقولهم وادّى بهم الحال الى الجنون وربما قتل . ورأيت الفقراء يستعملونهُ على انحاء شتى فمنهم من يطبخ الورق طبخاً بليغاً ويدعكهُ باليد دعكاً جيدًا حتى ينعجن ويعملهُ اقراصاً ومنهم من يجففهُ قليلاً ثم يحمصهُ ويفركهُ باليد ويخلط بهِ قليل سمسم مقشور وسكّر ويستفّهُ ويطيل مضغهُ فانهم يطربون عليهِ ويفرحون كثيرًا وربما يسكرهم ويخرجون بهِ الى الجنون اوقريباً منهُ كما قدّمنا وهذا ما شاهدتهُ من فعلهِ "

واورد المقريزي كلاماً مسهباً في كيفية اكتشاف الحشيش قال فيهِ ما خلاصتهُ "انهُ كان شيخ للفقراء اسمهُ حيدر كثير الرياضة قليل الطعام نشأ بخراسان واتخذ زاوية باحد جبالها ومعهُ جماعة من الفقراء واقام اكثر من عشر سنين لايدخل عليهِ الاّ رجل